# اللغة العربية ودورها في بناء المجتمع والموروث الثقافي

**د. مصطفى سعد المرغني**
**قسم اللغة العربية- كلية التربية الزنتان - جامعة الزنتان-ليبيا**

**الملخص:**
تشكل اللغة العربية أهم العوامل التي تقوم عليها أمتنا، بالإضافة إلى عوامل أخرى كالتاريخ والاقتصاد والعلوم وغيرها، وتشكل عنصرا أساسيا في بناء هوية كل فرد من هذه الأمة. ومما يزيد من أهمية هذه اللغة عند العرب والمسلمين أنها لغة القرآن الكريم؛ إذ لا يمكن فهم كتاب الله الفهم الصحيح وتذوق إعجازه اللغوي والبياني إلا بقراءته باللغة العربية، كما أن التراث الغني بالعلوم الإسلامية وأمهات الكتب مكتوب باللغة العربية، ومن هنا كان تعلم العربية هدفا لكل المسلمين، فالعربية أطول اللغات عمراً وأقرب إلى اللغة الأم، فليس هناك لغة تملك التراث كالذي تملكه اللغة العربية، وهي عالميّة مثل دينها الذي هو هداية للناس كافة.
ومن هنا جاء اختيار الباحث للمحور الموسوم بـ: (اللغة **العربية ودورها في بناء المجتمع والموروث الثقافي**)
حيث تم تقسيم البحث بإذن الله إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين، كما يلي:
1 . المبحث الأول: دور اللغة العربية في بناء المجتمع.
2 . المبحث الثاني: دور اللغة في إبراز الموروث الثقافي للأمّة.
ثم الخاتمة والمصادر والمراجع.

**Summary**:

The Arabic language constitutes the most important factors upon which our nation is based, in addition to other factors such as history, economics, science, and others, and it constitutes an essential element in building the identity of every individual of this nation. What increases the importance of this language among Arabs and Muslims is that it is the language of the Holy Qur'an. It is not possible to properly understand the Book of God and taste its linguistic and declarative miracle except by reading it in Arabic, just as the rich heritage of Islamic sciences and the most important books is written in Arabic, and from here learning Arabic was a goal for all Muslims, as Arabic is the longest-lived language and closest to the mother tongue, so there is no language It has the same heritage as the Arabic language, and it is universal like its religion, which is guidance for all people.

Hence the researcher's choice of the axis tagged with: (The Arabic language and its role in building society and cultural heritage)

The research was divided, God willing, into an introduction, a preface, and two sections, as follows:

.1The first topic: The role of the Arabic language in building society.

.2The second topic: The role of language in highlighting the cultural heritage of the nation.

Then the conclusion, sources and references.

**مقدّمـــــــــــــة :**
لا يخفى على ذي لبّ ما للغة العربية من أهمية كبرى في كونها لغة الفرآن الكريم والسنّة المطهرة وكونها جزءاً من ديننا، اطلع عليها وغاص في أسرارها من العرب في القديم والحديث ، ولا عجب أن يشهدوا بعظمتها ؛ لأنهم أصل اللغة ، والاطلاع على أقوالهم يزيدنا علماً وثقة .
فقد اختار الله سبحانه وتعالى بعلمه وحكمته اللغة العربية لغةً وبياناً لكتابه الخالد ؛ لما في هذه اللغة من مزايا التعبير والبيان ما لم تحط به لغة غيرها، كما لم يسع كتاب الله غيرها في نزوله على سيد الكائنات ، ولو كان في الوجود لغة تفضل اللغة العربية في الكشف عن دقائق البيان وأسرار التعبير، ما جاوزها القرآن الكريم إلى غيره ، فالعربية أسمى للغات على الإطلاق ، والدليل أن عالم الغيب والشهادة ارتضاها أداةً لوحيه المنزل على أكرم رسله .
إن عربية اللغة والبيان القرآني ، جاء النّص عليها في نحو تسعة مواضع في كتاب الله العزيز ، منها قوله تعالى ( إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ) (1)
وهذا من تمام التشريف لهذه اللغة أن كرّمها الله تعالى بأن حفظها بحفظ ذلك الكتاب في قوله جلّ وعلا : ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ) (2) .

وهذا التكريم قطعي الدلالة على أنها أفضل اللغات وأحسنها ، وما انحسار ظلّها وضيق انتشارها في هذا الزمن إلا دليل على ضعف أهلها في تعلّمها وتعليمها ، وتلك هي حقيقة لا يمكن إنكارها أو تجاهلها ؛ وإلا فالإسلام الذي حكم العالم قروناً مديدة قد نُحِّيَ هو الآخر عن موقع الرّيادة في هذا الزمن الكئيب .
إنّ الأمة التي يضعف تأثيرها في حركة الحياة يدبُّ الضّعف في أطرافها جميعاً ويسري الوهن في روحها ، وإن الضّعف اللغوي الذي نلاحظه اليوم ما هو إلا نتيجة لمظاهر التّخلّف الكثيرة في هذه الامة ، وليس من شك في أن الدّاء يكمن في انحرافها عن منهج الله تعالى ، من هنا كانت **أهداف البحث** تكمن فيا يلي :
ـــــ الكشف عن مدى تأثر اللغة العربية الفصحى باللهجات المتتابعة لطمسها ، ومحاولة علاج المشكلة المتمثلة في النظرة الخاطئة والمفاهيم المغلوطة عن اللغة العربية وتفنيد الدعاوي الباطلة ضدها .
ـــــ إثبات أن هذه اللغة حيّة ، سلسة وثرية وبها إمكانيات ضخمة تؤهلها لأن تكون في مصاف المراتب .
ـــــ توضيح السبل الكفيلة بالمحافظة على اللغة ، والإصرار على أهميّة تعلّمها وتعليمها أمّا أهميّة البحث فتتلخّص في :
ـــــ إلقاء الضوء على ما تواجهه اللغة العربية من غزو ثقافي جديد يؤثر سلباً على استعمالها كتابة وقراءة ونطقاً وتعاملاً بها.
ـــــ التأكيد على عالمية اللغة وقدرتها على مواجهة التغيرات .
**مشكلة البحث:** وفيما يتعلّق بمشكلات البحث ، فإن ذلك يكمن في :
ـــــ تعرض اللغة العربية إلى هجمات متتالية من قبل دعاة العولمة ، والهدف من ذلك محاولة طمس هذه اللغة وإضعافها وتحييدها عن مسارها الفصيح إلى العامية ، وقد رأى الباحث أن يبرز دور اللغة في تثيرها على طبقات المجتمع من خلال المحافظة على الموروث الثقافي ، وبيان قدرة اللغة على مواجهة التحديات ، وإن قيام الباحث بمثل هذا العمل يتطلب جهدًا يضمن من خلاله الحد الأنى لفهم المتلقي، كما يهدف البحث للإجابة عن بعض التساؤلات ومن ذلك :
ـــ ما الذي جعل اللغة العربية ترتقي إلى مكانة سامية تأخذ مكانها الصحيح بين اللغات؟
ـــــ ما مدى قدرتها على التكيف مع مجريات الأحداث ومتطلبات العصر، وما العقبات التي تواجهها ؟ .
وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي وكان للمنهج التاريخي حضوره البارز من خلال تتبع مجريات القصص ، فقسّمت الدراسة على مقدمة وتمهيد ثم الفصل الأول المتعلق بدور اللغة العربية في المجتمع ، أما الفصل الثاني فيتعلق بدورها في الموروث الثقافي ، ثم الخاتمة وثبت المصادر والمراجع .

**تمهيـــد :**
إنّ مصطلح اللغة العربية كأيّ مصطلح له تعريفه من حيث اللغة والاصطلاح ، وإذا ما أردنا سرد التعريفات الخاصة باللغة ، فإن المجال لا يسمح في هذا البحث الموجز ، وقد تباينت أفكار العلماء واختلفت آراؤهم حول تلك التعريفات ، وكلٌّ له رأيه .
والقرآن الكريم يسمّي اللغة بياناً ، وقد وردت في الذكر الحكيم بمعنين كما في قوله تعالى : ( **وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ** ) [3] ، وقوله تعالى : ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ) [4] ، وقوله تعالى : ( واحلل عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ) [5] وغير ذلك من الآيات الكريمة الواردة بلفظ اللسان ، فاختلاف الألسنة إشارة إلى اختلاف اللغات ، وإلى اختلاف النغمات ، فإنّ لكل لسان نغمة مخصوصة يميّزها السّمع ، كما أن له صورة مخصوصة يميزها البصر [6].
إن لغتنا العربية رمزٌ لتراثنا القومي، وعنوان لشخصيتنا العربية، وهي لغة قرآننا العظيم وحضارتنا العربية الضّاربة جذورها في عمق التاريخ ، وهي مستودع تراثنا الفكري والثقافي وموحّدة بين أبناء الأمة ماضياً وحاضراً وتوجهاً نحو المستقبل ، بها نتفاهم ،وبها نعبّر عن آمالنا وطموحاتنا .
إن القرآن الكريم خلّص اللغة من شتات اللهجات الكثيرة، فجعل من اللغة العربية لغةً عالميّة تنطق بها الأمم الأخرى؛ إذ تغلغلت في الهند والصّين وأفغانستان، ويكفي ما عرفنا من مشاهير العلماء من تلك البلاد مثل البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة والقزويني وغيرهم كثير .
ولعل من أبرز التعريفات ما ذكره ابن جنّي في أن اللغة هي " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، أو هي ما يتواضع عليه من الكلام " [7] ، من ذلك يتبين أن اللغة ظاهرة من الظواهر الصوتية ، ولها وظيفتها الاجتماعية لكونها أداة التواصل والاتصال بين أفراد المجتمعات ، ووسيلة من وسائل التعبير عن أغراضهم وحاجاتهم ، وبغض النظر عن اختلافها من قوم لقوم ، ومن مكان إلى مكان ؛ فإنها تؤدي نفس الوظيفة وهي التواصل ، فإلى جانب أنها وسيلة التواصل ، فهي أداة للتعبير عن المشاعر والعواطف والأفكار وهذا بحسب رأي القدامى ، ولا يبتعد كثيراً عن رأي المحدثين ، فإن خلاصة أقوالهم هي أداة للتعبير عما يجول في خاطر الانسان من أفكار ، بحيث لا يمكن للإنسان أن يوصل عواطفه ومشاعره وأفكاره لغيره ما لم يستخدم اللغة ، فهي عبارة عن نظام معين يجب اتباعه .
وبالحديث عن العربية بالذات فهي اللغة السّامية الوحيدة التي قُدّر لها أن تحافظ على وجودها ، وأن تصبح عالميّة ، وما كان ليتحقّق لها ذلك لولا نزول القرآن الكريم بها ؛ إذ لا يمكن فهم كتاب الله تعالى الفهم الصحيح والدّقيق

وتذوق إعجازه اللغوي والبياني إلا بقراءته باللغة العربية ، كما أن التراث الغني من العلوم الإسلاميّة والأدبية وأمهات الكتب مكتوب بالعربية ، ومن هنا كان تعلّمها هدفاً لكل المسلمين ، فهي الوحيدة التي حافظت على بنيتها وكُتب لها البقاء دون تحريف قبل الإسلام ، ثم زادها الله كرامة وتشريفاً وعزّة ، فاختارها لغة كتابه العزيز وحفظت بحفظه ، وليست هنالك لغة تملك التراث الذي تملكه اللغة العربية [8] .

ولغة الأديب هي أسلوبه الذي يتميّز به ، كما أن لبعض الألفاظ حظوة لدى طوائف من الناس ، قال الجاحظ " ولكل قوم ألفاظ حظيت عندهم ، وكذلك كل بليغ في الأرض وصاحب كلام موزون ، فلابد أن يكون قد لهج وألّف ألفاظاً بأعيانها ليديرها في كلامه ، وإن كان واسع العلم غزير المعاني كثير اللفظ " [9] ، ومن مميزات لغتنا أنها فصيحة ، والفصاحة في اللغة تطلق على معانٍ كثيرة منها : البيان والظهور وحسن النطق وحسن الأداء بلا تنافر للحروف ، أو غرابة في الألفاظ ، أو مخالفة للقياس ، أو ضعف في التأليف .

وقد تميّزت بالفصحى؛ لأنها لغة القرآن وهي المتمثلة في نصوص التراث الأدبي في العصرين الجاهلي والإسلامي ،وهي اللغة المستخدمة في الأعمال الأدبية في العصور التالية للعصر الاسلامي ، كما أنها لغة القبائل أصلاً ، وهي اليوم لغة التأليف والمحاضرات والجامعات والصحف والإذاعة ، وغدت الفصحى تعني اللغة الأدبية في مقابل اللغة العاميّة .[10]

**المبحث الأول: أثر اللغة العربية في المجتمع.**

للغة العربية أثر كبير في التربية المجتمعية، وفي ذلك يقول ابن تيميّة " واعلم أن اعتبار اللغة يؤثر في العقل والخلق والدّين تأثيراً بيّناً ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الامّة من الصّحابة والتّابعين، ومشابهتهم تزيد في العقل والدين والخلق " [11].

ولا شكّ أن اللغة هي الفكر والهوية والماضي والحاضر والمستقبل، ولها تأثير كبير في ترسيخ المواطنة وتكريس الانتماء، والواحد من الناس يألف من يتكلّم بلسانه، ويقترب منه أكثر من غيره ، فكلّ أهل بلد تؤلف بينهم رابطة توحدهم ، ومستقرّ يجمعهم ، قال الرافعي : " ما ذلّت لغة شعب إلا ذل ، ولا انحطّت إلا كان أمره في ذهابٍ وإدبار [12] .

والأئمة السابقون تتلمذوا على فقهاء اللغة في عصرهم ، فإلى جانب اهتمامهم بالعلوم الشرعية ، فقد أولوا اهتمامهم باللغة واعتبروها وسيلة الفهم الرئيسية ، وقد روي عن الإمام الشّافعي قوله : " أقمت في بطون العرب عشرين سنة آخذ أشعارها ولغاتها وحفظت القرآن ، فما علمت أنه مرّ بي حرف إلا وقد علمت المعنى منه [13] ، وقد بلغ الشافعي مبلغاً عظيماً من الفصاحة والبلاغة وحسن البيان حتى قيل عنه : " أفصح قريش في زمانه وكان ممن يؤخذ عنه اللغة " [14] .

وقال الفارابي في ديوان الأدب : " هذا اللسان كلام أهل الجنّة وهو المنزّه بين الألسنة من كل نقيصة ، والمعلّى من كل خسيسة ، والمهذب من كل ما يستهجن أو يُسْتَشْنع ، فبنى مباني باين بها جميع اللغات من إعراب أوجده الله له ، وتأليف بين حركة وسكون ، فلم يجمع بين ساكنين أو متحرّكين متضادين ، ولم يلاق بين حرفين لا يأتلفان ولا يعذب النطق بهما " [15].

وكثير من العلماء كانت لهم عناية واهتمام بالعربية وعلومها ، لما لها من آثار تربوية على متعلّميها من أبناء المجتمع ، فقد أدركوا أهميتها في تثقيف اللسان وتحسين البيان ، وغرس الآداب ، فكانت ولا تزال العربية أساساً لفهم الدين من مصادره ، وهي زينة مجالس الأدباء والعلماء .

وإذا كان العلماء قد تحدّثوا عن مفهوم اللغة من زاوية معينة ، فإن الإسلام يعتبر اللغة ليست مجرد وسيلة تواصل وترابط إنساني واجتماعي ، إنما هي أكثر من ذلك، فهي نعمة من نعم الله على عباده منحهم إياها الله سبحانه ؛ ليتمكن الإنسان من العيش، ويلبّي متطلّبات الحياة، وبذلك يكون قادراً على التأقلم والتّعايش في المجتمع ، ويؤدي عباداته المفروضة وذلك من تمام نعم الله على عباده ، قال تعالى : ( وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ) [16] .

قال الجاحظ : " لأن مدار الأمر على البيان والتبيين ، وعلى الإفهام والتفهيم ، وكلّما كان اللسان أبين كان أحمد " [17] ، وقد كانت نظرة معظم علماء العربية إلى أن اللغة العربية لها نظرة قدسية خاصّة ، فهي لسان القرآن الكريم ، وهي التي بهرت عقول العرب وسيطرت على قلوبهم ، وأخذ كل عالم يبحث في مجال من مجالات اللغة ؛ رغبة فيه وفي التعرّف على أسرار الكتاب المعجز ، والكشف عن معانيه وحفظه ، فمن خلال ذلك نشأت العلوم المختلفة وازدهرت يوماً بعد يوم ، وظهر الباحثون والمؤلّفون ، واختلفت اتجاهاتهم ، وتباينت آراؤهم واختصاصاتهم ، فمنهم من اتجه لدراسة النحو العربي ، ومنهم من سار في دراسة علوم اللغة وآدابها ، وعمل آخرون في المعاجم اللغوية .

كل ذلك يجعل الموهوبين في المجتمعات غير العربية يقبلون على لغة العرب في نهمٍ وهم ينفقون الأموال الطائلة في جمع كتبها ، ويفخرون بأنها جديرة بالإعجاب ، وأن آدابها حقيقية .

لقد ظلّت العربية تمارس دورها الهائل من خلال التأثير في المجتمعات العربية وغير العربية شعراً ونثراً وألفاظاً وحضارة في الشرق والغرب ، على الرغم من كثرة الأخطار المحدقة بها ، ومن ذلك شيوع العاميّة في وسائل الإعلام المختلفة ، وفي قاعات الدروس في المؤسسات التعليمية بمراحلها المختلفة ، بل وبين المتخصصين أنفسهم ، وانتشرت هذه المشكلة بحيث طالت السّرد في الروايات والقصص ، ، بحجة انتشار التعليم بلغاتٍ أجنبية في المدارس والجامعات ، وبخاصة مصطلحات التكنولوجيا ، وسرت تلك المصطلحات ، فلامست الحياة اليوميّة للناس ، ومن ذلك مسميات في المأكل والملبس والمشرب ، وذلك يسبّب في محو هوية اللغة والشّعور بالاستياء والنقص ، ولكن مع كل ذلك يستطيع أبناء الأمة العودة إلى حضن لغتهم وثقافتهم، ولا يتأتى ذلك إلا بالتمسك بكتاب الله قراءة وتدبراً وحفظاً مع مدارسة الأدب العربي الذي يوثّق اللغة العربية ويقويها على ألسنة المتكلمين بها، عندئذٍ تؤدي اللغة دورها في المجتمع بالصورة المرجوّة .

ومن الآثار التربوية للغة العربية على المجتمع ، تربية الذوق اللفظي لمتعلّميها ، بحيث تكسبهم فصاحة في الكلام ، وبلاغة في البيان ، وجمالاً في تركيب الكلام ، وسمو النفس ، ومكارم الأخلاق ذوقاً ولفظاً وفهماً عميقاً وعاطفة جيّاشة ، أما ما يتعلّق باللفظ من حيث الذوق في الأدب هو : " حاسة معنوية يصدر عنها ما جمل من الألفاظ وهجر ما قبح منها " (18) .

**أهميّة الذوق اللفظي في تقويم لسان المتكلم في المجتمع :** تختلف الكلمة من حيث وقعها على السّامع ، فإذا كانت طيّبة بديعة في لفظها حسناً وجمالاً ؛ فإنها تكسب محبّة وإعجاب المتلقي ، وهي لا تقل أهمية عن الفعل القويم في أثره ، وفي الحديث قوله : " إن من البيان لسحراً أو إن من البيان سحراً " (19).

وحول هذه الأهمية للذوق اللفظي يقول ابن حجر : " وقد اتفق العلماء على مدح الإيجاز والإتيان بالمعاني الكثيرة بالألفاظ اليسيرة " (20)، وهذه إحدى مميّزات اللغة العربية، وعندما يتعود اللسان على أحسن الألفاظ ، ويتمكن صاحبه من تداول معاني تلك الألفاظ بانتقاله من لفظٍ إلى آخر ؛ فإن ذلك ينعكس على السّامعين في تقبّل ما يقوله ، لا سيّما إذا كان متشبّعاً بألفاظ القرآن الكريم، ذلك المنهج القويم بما فيه من عذوبة الألفاظ وجزالة العبارات، وفصاحة البيان وحلاوة التراكيب ، ومن ثم ينعكس ذلك على أفراد المجتمع .

ولابد من التنويه إلى أن عناية الله جلّ وعلا ، قد أحاطت هذه اللغة حين عزلتها عن الآخرين داخل نطاق الجزيرة العربية ، فاقتصر التواصل بها على مواسم الحج والتجارة الوافدة إلى مكة حتى جاء النبي برسالته الخاتمة ، وهنا تشكل الإعجاز القرآني الذي منح اللفظ العربي جمالاً وبياناً (21).

لقد كان للقرآن العظيم فضل عظيم في إظهار فصاحة اللغة العربية على الوجه السّليم كما أراده الله تعالى لها ، وقد شهد بفصاحة القرآن وبلاغته ألد أعداء الإسلام الوليد بن المغيرة قبل إسلامه عندما قال له قومه : قل فيه قولاً يبلغ قومك أنت منكرُ له ، فقال الوليد : " والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار منّي ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده منّي ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذه، والله إنّ لقوله الذي يقول لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة ، وإنه لمثمرً أعلاه ومغدقً أسفله ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه ،" (22) .

ذلك هو الذوق التربوي للغة العربية ، ولنا في رسولنا الكريم الأسوة الحسنة ، فقد تحدّث بأحسن العبارات لفظاً وأوضحها معنىً وأقواها دلالة، اشتملت على إيجاز في غير إعجاز ووضوح في غير إطناب ، فقد أعْطِيَ جوامع الكلم.

ورد في الأثر أن وفداً من أهل الحجاز في مجلس عمر بن عبد الخطاب رضي الله عنه ، فاشرأب منهم غلام بالكلام ، فقال عمر : " ليتكلّم من هو أسنُّ منك ، فقال الغلام : يا أمير المؤمنين إنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، ولو أن الأمور بالسّن لكان هاهنا من هو أحقّ بمجلسك ، فقال عمر : تكلّم فهذا السّحر الحلال " ( 23) ، تلك هي آثار اللغة العربية السّليمة التي جعلت الأمير يحترم الغلام تشريفاً لنطقه السّليم وتشبّعه بأصول اللغة، فأعجب بحسن رده ،احتراماً للغة .

ومن الآثار التربوية للذوق اللفظي أنها تنعكس على صاحبها ، وبالتالي على المجتمع الذي يعيش فيه ؛ لأن الكلمة الجميلة تأسر مستمعيها ، وتجعلهم في شغف دائم لمتابعة أحداث معانيها ودلالاتها ، فهي تجذب العواطف وتأخذ الألباب ، وتلك هي ترك اللحن ، وقد قيل : " اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب النفيس ، والجدري في الوجه (24) ، فكما يحدث الأثر الذي ينتج من اللفظ لابد من معالجة الكلمة قبل البوح بها ؛ لكي يتم الاصغاء من قبل المتلقي بالصورة المرجوّة .

**التفاعل العاطفي :**

وكما تتفاعل العواطف مع الأحداث سواء أكانت سارّة أم حزينة ، فإنّها تتفاعل مع الكلمات والألفاظ العذبة المعبرة عن معانيها ودلالاتها ، وتواكب تلك الأحداث ، فتتأثر بها قلوب المستمعين وتتفاعل معها نفوسهم ، والمستمع أو القارئ جزء من المجتمع الذي يتكلم العربية فيكون وقعها إيجابيّاً عليه .

ومن صور التفاعل العاطفي للكلمة في العربية التي تؤثر في عموم المجتمع ، أنّ رجلاً دخل على معاوية بن أبي سفيان وعليه عباءة رثّة فاستحقره معاوية ، فقال الرجل : " يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلّمك ، ولكن يكلمك من فيها ، وكمال الرجل آدابه لا ثيابه ، (25) وأنشد يقول :

أمـــا وإن كـــان أثوابـــي ملفّقـــة ** ليســـت بخـــزٍّ ولا مـــن نســـج كتّـــان
فـإن فـــي المجـــد همّتـــي وفي لغتـــي ** فصاحـــة ولســـانـــي غيـــر لحّانِ (26) .

مما سبق يلاحظ الأثر التربوي الذي خلّفته ألفاظ اللغة العربية ومعانيها التي تحرك أحاسيس ومشاعر القارئ ، وتجعله كأنه يعيش الموقف ، بل ويتفاعل معه كما أن ألفاظ العربية البليغة التي تحدث بها الرجل في مجلس الأمير تنم عن تشبعه بألفاظ العربية ، فأجاد في ردّه بحكمة بالغة الأثر على عموم المجتمع ، في أن قياس المرء ليس بحسنه وجماله ، وإنما بقلبه ولسانه ، وهذ يذكرنا بقول الشاعر( دعبل الخزاعي) ** :

ومـا المـرء إلا الأصغـران : لسانـه *** ومعقولـه والجسـم خلْـقٌ مصـوّرُ
فـــإن طـــرّةٌ راقتـــك فاخبـــر فربّمـــا ***أمـــرُ مـــذاق العـــود والعـــود أخضـــر(27).

وتلك هي عبارات ذكرها الشاعر كشفت عن شخصية تحمل صورة باطنة خلاف الصورة الظاهرة ، فهو ذلق اللسان عندما أشار إلى قلبه ولسانه ، فالمتأمل في هذا الموقف الأدبي يلاحظ بلاغة الكلمة العربية التي جذبت عاطفته نحو خصال تربوية أبرزها التفاعل مع عوائد الناس ، لا مع صورهم وأشكالهم ، وهذا ما ينعكس إيجاباً على سلوك المجتمع كافة .

إن اللغة العربية البليغة في معناها بألفاظها ودلالاتها إنما يكون لها أثر كبير على المتلقي سماعاً وكتابةً وقراءة ، فهي تغرس فيه تذوق الكلمات واستشعار جمال مبانيها ومحسّناتها البديعية ، وتراكيبها اللغوية بما تشتمل عليه من جناس وطباق وتشبيه وغير ذلك مما ينمّي الذوق الفكري ، كما أن في ترديد الألفاظ الجميلة والتعود عليها أثر عظيم الفائدة على المستمع أو القارئ ؛ ذلك أن المتكلم يسحر الألباب بعذوبة ألفاظه ، وحسن بلاغته ، وقد كان للسلف الصالح عناية باللغة وألفاظها ؛ لما لها من أثر في تربية الذوق اللفظي والعاطفي والفكري لعموم المجتمع ، انطلاقاً من أن الكلمة في اللغة العربية تسهم مساهمة فعّالة في بناء المجتمع على أسس لغوية سليمة تحث على الفضائل الخلقية ، وتنفر من الرذائل السلوكية ، وفي هذا المعنى قال الإمام الشافعي :

إذا رمـــــت أن تحيـــا سليمـــاً مـــن الـــرّدى ** ودينـــك موفـــورٌ وعرضـــك صيّـــن
فـــلا ينطقـــن منـــك اللســـان بســـوأة ** فكلـّـــك ســـوءات وللنـــاس ألســـن
وعينـــاك إن أبـــدت إليـــك معايبـــا ** لقـــوم فقـــل : يا عين للنـــاس أعيـــن
وعاشـر بمعـروف وسامـح مـــن اعتـــدى ** ودافـع ولكـــن بالتـــي هـــي أحســـن(29).

مثل هذه المقطوعات الأدبية الخلقية لها الأثر البالغ في بناء مجتمع متخلق بآداب الإسلام الحميدة من ألفاظ أنتجتها اللغة العربية ، وخلاصة ذلك : إن اللغة العربية لها آثار تربوية على العاطفة والعقل والسلوك الإنساني ، كما أسهمت في تسهيل العلم ونقله وحفظه من خلال نظم المعرفة شعراً ونثراً ، إضافة إلى إسهامها في تبادل العلوم بين المجتمعات .

**المبحث الثاني :أثر اللغة العربية في الموروث الثقافي :**

الموروث لغة : ورثه ماله ومجده ، وورثه : وراثة ...ورث فلان أباه وراثة وميراثاً والإرث والوارث والإراث واحد (29)، ومن ذلك يُفهم أن التراث هو : ما تركه السّابق للاحق ، وفي التنزيل قوله تعالى : ( وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ) (30) ، أي ورث نبوته وملكه (31) وبهذا المعنى ورد في القرآن الكريم قوله تعالى : ( أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *) (32) ، وفي ذلك إشارة إلى عباد الله المتّقين ، فإنّ جزاءهم سيكون جنّات الخلد كما وعدهم رب العالمين .

وفي الحديث قوله": اللهم أمتعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني " (33) ، أي أبقهما معي صحيحين .

وفي الاصطلاح : هو " شكل ثقافي متميز يعكس الخصائص البشرية عميقة الجذور ، ويتم تناقله من جيل إلى آخر يليه ويشترط لهذا النقل والتوريث أن يتم بأمانة ويقترن بمفهوم الحفّظ والأحياء (34) ، وهو أيضَاً " ما خلّفه السّلف من آثار علميّة وفنّيّة وأدبيّة مما يعتبر نفسياً بالنسبة لتقاليد العصر الحاضر وروحه " (35) ، ومثال ذلك : الكتب التي حققها ونشرها مركز تحقيق التراث المتصل بدار الكتب بالقاهرة وكذلك ما تحتويه المتاحف والمكتبات من آثارٍ تعتبر جزءاً من حضارة الإنسان .

إن للجنس البشري بأجمعه تراثه الإنساني ، وهو مجمل ما أنتجه الانسان أينما وُجِدَ وفي كل العصور من فكر وعمل ، مادياً كان أو روحياً ، كذلك فإن لكل شعب أو أمّة تراثه الخاص به ، وهو يتصف بالتميّز وليس ضرورياً الامتياز ، والدارس في التراث يلتمس الأفكار والمناهج التي هي في واقع الأمر ترتبط بحقيقة التفاعل بين الإنسان والبيئة والمجتمع ، وفي الأدب الحديث تلزم الحاجة لاستحضار الشخصيات القديمة ، وتقديمها في صورة معاصرة بوصفها رموزاً متجددة بحيث " يتم التّمايز داخل الموروث بناءً على صور التمايز الحاصل في عالمنا وعصرنا " (36) ،فتتم الاستفادة من النماذج الحسنة، وللنقاد المعاصرين آراء ترفد هذا المصطلح ، وتفصح عن دلالته ، ومن ذلك الرأي القائل إنّ التراث " هو ما كان ويكون وسيكون " (37).

وعلى الرغم من بساطة هذا التعريف الذي قدّمه الكاتب ، فإنه يفصح عن كثيرٍ من المعاني ، حيث يتناول الماضي وما حدث فيه وما بقي منه ، ثمّ يشير إلى الحاضر منه الذي بنى على السّابق وأحدث فيه تجديداً ، ثمّ أشار إلى المستقبل الذي يترتب على ما سبقه من ( ماضٍ وحاضر ) فسوف تدور الدّوائر ويصبح المستقبل أيضاً قديماً بعد أن تمرّ عليه العصور ، فتتغير مع تلك المتغيرات تقاليد المجتمع وثقافته .

وفي معرض ذلك قال ابن قتيبة : ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خصّ به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر ، وجعل كلّ قديمٍ حديثاً في عصره ..." (38) ، وهذا الرأي ينطبق على الواقع ، وبمعنى أوضح أن الجديد لا يبقى على حالته طويلاً ، إذ لابد من أن تناله يد الدهر ، فيصبح تليداً بتغير ظروف الحياة وتغير الإنسان نفسه في معاملاته بسبب الظروف المحيطة به وبذلك ينعكس على عموم المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان سلباً أو إيجاباً، لكن هذا التغيير تحافظ عليه اللغة وتنقله من جيل إلى جيل .

والتراث بهذا المفهوم الواسع هو نتاج مرحلة تاريخية سابقة ، ويستمد أهميته من الدور الذي كان يؤديه بالنسبة للمجتمع في تلك المراحل ، ويظهر هذا الإرث الثقافي للمجتمع بعناصره المتنوعة في سلوك الناس وعاداتهم وتقاليدهم ، وأنماط تفكيرهم بدرجات متفاوتة ؛ ففي حين يبقى جزء كبير منه حيّاً في المجتمع وهو ما يعرف بالموروث يأخذ جزء آخر بالتّلاشي تدريجيّاً بفعل عوامل اجتماعيّة واقتصاديّة وسياسيّة متنوّعة إلى أن يستقر في ذاكرة المجتمع وتاريخه ، وبذلك يكون للغة دورها الرئيس في المحافظة على الموروث ، لاسيّما فهم أصول الدين الإسلامي بالصورة الحقيقية والصحيحة التي جاء عليها .

إن الإنسان بطبيعته كائن منتمٍ فلا يستطيع أن يشكّل وجوده أو يعيش حياته بمعزل عن الآخرين ، ولا يستطيع أن يبدع لغة خاصّة تعزله عن سواه من البشر الذين يشاركونه ويشاركهم واقعهم الاجتماعي والسّياسي ، وهذا الواقع المشترك يفرض الهوية المشتركة وهو الواقع الثقافي نفسه الناتج من تراث متراكم ، ويفرض الانتماء إلى الهوية سواء كانت دينية أم لغوية أم وطنية ، فالهوية مرتبطة بحياة الأمة ، وهي تتطوّر مع التطور السياسي والاجتماعي ، وبالتالي فهي تنمو نموّاً تاريخيّاً وتتجذّر وتتحوّل وتتصارع داخليّاً وخارجيّاً ، وتتفاعل مع الشعوب والثقافات ، فتكوّن بذلك هي حصيلة الإبداع ، والإبداع ليس عملاً فرديّاً فحسب ، بل هو إبداع جماعة ، وإبداع الجماعة يكوّن مع إبداعات الجماعات الأخرى النسيج الحضاري العام (39) ، وهذا النسيج الاجتماعي الثقافي كانت اللغة سبباً رئيساً فيه ، ومن خلال اللغة تبرز الهوية في كونها خلاصة تعايش طويل لقوم أو مجموعة أقوام تحدّد بمرور الزمن مكانهم الجغرافي وتحددت معالم لغتهم المشتركة ، وكذلك طموحاتهم وأحلامهم ، وصاروا بحكم ذلك التكوين منتمين إلى هذا المكان وهذه اللغة ، وهذا ما كان من لغتنا العربية التي حفظت ونقلت كمّاً هائلاً من الموروث التاريخي الثقافي عبر تاريخٍ طويل يصح أن نطلق عليه صفة الديمومة والاستمرارية ؛ لأن اللغة العربية تحمل هذه الصفة .

ومن أمثلة القضايا الاجتماعية التي تتطوّر وفق المراحل التاريخية ، فتكوّن في العصور المعاصرة صدىً للتراث القديم في هذا الجانب من جهة ، وتصبح بعد عقود من الزمان إرثاً ثقافياً في الجانب الاجتماعي من جهة أخرى ما يتعلّق بقضايا المرأة ؛ فقد دعا بعض المصلحين إلى تحرير المرأة في العصر الحديث ، وأدّى التمسك بالموروث الاجتماعي إلى نشوء مظاهر عديدة أدّت إلى ظلم المرأة في اعتقادهم ؛ فأكّدوا وجوب التلازم بين تحرير المرأة وتحرير المجتمع ، فقاموا بشرح مفاهيم الحرّيّة والتقدم ، وخاصّة الحرّيّة الفرديّة ، ورفض التقاليد الموروثة في المجتمع ، فالأمر المهم عندهم ألاّ يكون المجتمع متمسّكاً بالتقاليد الموروثة ، بل بما يكون في مصلحة المجتمع ،

وهذا يفتقد إي بعض الموضوعيّة ، حيث أهملت بعض الجوانب التي وجدت في التراث الإسلامي في هذا الجانب ، وما حظيت به المرأة المسلمة من مكانة مرموقة في مجتمعها ، وقد أصبحت الآراء القديمة تراثاً يمكن تطويره ، وعلى سبيل المثال لا الحصر أصبحت المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي تقود السّيارة ، متخطّية الحواجز الموروثة في بعض البلدان كما يلاحظ الآن في السعودية مثلاً ؛ ففي الوقت الحالي يلاحظ أن مثل هذه القضايا القديمة تستحوذ على اهتمام الباحثين والمفكّرين العرب ومنهم ( قاسم أمين)** الذي أكّد على وجوب التلازم بين تحرير المرأة ورفض التقاليد الموروثة (40) .

وللتراث الثقافي أشكالٌ تعبيرية كثيرة في مقدّمتها التراث التقليدي الذي يتكون من " الموروثات والحكايات الشعبية التي تكون زاداً حضارياً أو تفسيراً لجانب من جوانب الحضارة في محيط الانسان (41) .

فكل المكونات الموروثة في المجتمع من عادات وتقاليد تبرز الهوية الثقافية ، وتعكس حياة المجتمع وتكون مرجعية ؛ لتذكر الماضي تلتفت إليها الأجيال المتلاحقة تباعاً تكرر عادات وتقاليد بعضها البعض ، وتضيف إليها ، وتحسّن ما يمكن تحسينه أو تطويره بالطرق التي يراها اللاحق أنها كانت ناقصة عند السّابق .

وهناك بعض الشعوب لهم موروثهم من القصص والحكايات والألعاب الشعبية المختلفة ، وهي نوع من الرياضات وكل ذلك يدخل ضمن التراث الثقافي لبعض الشعوب والجماعات ، والأدب العربي على مرّ العصور يحمل الكثير ، ففي الجانب النثري هناك قصص ألف ليلة وليلة ، ورسالة الغفران وشهرزاد ، وقصص جحا والسّندباد وغير ذلك كثير .

وفي الجانب الشّعري هناك المعلقات وما حملت معها من تاريخ يعكس حياة الناس في ذلك الزمن ، فلا يمكن إغفال ذلك الكم الهائل الذي يمثّل تراثاً ثقافيّاً كانت اللغة العربية ولا تزال تقوم بدورها الأبرز في نقل تلك الصور المتلاحقة إلى يومنا هذا .

ومن الألعاب الرياضية الشّعبية ذات الطابع الرجولي كركوب الخيل وسباقاتها ، والمبارزة بالسّيوف والرماية بالرمح والمصارعة وألعاب الأطفال المختلفة وغير ذلك ، وهذا من ضمن التراث الثقافي للشعوب على تباين أجناسها واختلاف لهجاتها ، وفي ذلك كله كانت ولا تزال اللغة العربية شاهدة على ذلك ومؤثرة فيه ونقلته للأجيال عبر العصور إلى يومنا هذا .

لقد كان للمعارك الحربية دورها في تكوين الزاد الثقافي الاجتماعي في التراث العربي ، فهي تمثل الواقع في زمانها ومكانها ، وكانت لا تخلو من بعض الأسرار ، وقد كانت زاداً كبيراً وجد فيه الشعراء ضالتهم في التعبير والتصوير الحربي لتلك الوقائع ومدح الأبطال فيها والتغني بأمجاد القبائل ، ومن خلال ذلك ظهر جليّاً تفاوت الشعراء في إبداعاتهم من خلال انتقاء الألفاظ المعبرة المتشبعة بفصاحة اللغة وبلاغة الألفاظ العربية .

كما كان للرحلات التي قام بها الرّحّالة إلى مختلف بقاع الأرض الدور البارز في اكتشاف موطن الإنسان ، ومدى انتشاره في بقاع الأرض وتنوع طريقة حياته ، والرّحّالة من بينهم رجال علم ودين ، قد دفعتهم المخاطر إلى كشف النقاب عن المجهول من الأرض والناس ، كما أبرزت الرحلات دورها في الكشف الجغرافي ، فقد يحصل معها أيضاً الاتصال بين الشعوب واكتساب المعرفة خصوصاً فيما يتعلّق باللغة التي هي أداة التواصل لمعرفة العادات والتقاليد فاللغة كانت ولا تزال تنقل الموروث الثقافي لأي مجتمع (42).

وللحكايات على لسان الطير والحيوان نصيب، فهي وُجدت قديماً في التراث العربي قبل أن يترجم كتاب كليلة ودمنة عن اللغة الفارسية ، وكان من ضمن ذلك الأمثال التي تُروى على ألسنة الناس ، ومن ذلك قولهم : " كيف أعاودك وهذا أثر فأسك " (43) ، وهذا المثل أو النص أجراه العرب على لسان الحيّة، ونستخلص من ذلك أن التراث في هذا الجانب ،إيجاز ذو معنى ينتسب إلى الماضي في صوره المختلفة سواء أكان ذلك علميّاً أو فلسفيّاً أو فنّيّاً.

إن الرؤية التفاعلية للعلاقة بين التراث القديم والحاضر تنتشر بدرجة كبيرة بين أوساط المثقفين في العصر الحديث ، ويمكن تقسيم التراث إلى قسمين ، تراث مادي وتراث غير مادي :

**1 ـــــ التراث المادي :**

يتمثل في المباني الأثرية القديمة المبنية عل الطريقة القديمة وما تكشفه الأبحاث من حفريات ونقوش تضمّها المتاحف وهي تمثل حضارة وتراث كل عصر من العصور ، ومن أمثلة ذلك الأهرامات في مصر ، والسّرايا الحمراء في طرابلس وقصر الحمراء في الأندلس ، وحضارة سبأ باليمن وتدمر بالشام ، وغير ذلك من النقوش والحفريات المنتشرة في الدول العربية ، وهي تعكس أحوال المجتمعات في كل زمن وكل ذلك نقلته اللغة العربية من جيل إلى جيل .

وقد التفت الأدباء العرب إلى هذه الآثار الماديّة ، فقدّمت أعمال مسرحية أو مشاهد مرئية في هذه الأماكن ، بعد أن يقوم المخرج الفني بتجهيز المحيط المناسب من ألبسة الممثلين ، وأنواع أسلحتهم ، وطريقة تعاملهم بحيث تكون أقرب إلى إظهار الوقائع التي كانت تدور في الأزمنة العتيقة ، وقد تدل هذه الآثار على ظهور الفنون والآداب في

أوقات لم يكن فيها التدوين بشكل كبير، أي منذ ظهور المسرح القديم الذي كان بلغة أخرى غير العربية ،ومن أمثلة ذلك :

المسارح في صبراتة ولبدة وشحّات ، فهذه دلالة على أن الليبيين قد عرفوا المسرح من خلال الاتصال بالشعوب التي حطت رحالها في هذه الديار واستقرت فيها زمناً طويلاً ، مما يدحض الرأي القائل بأن المسرح في ليبيا قد ظهر في عهدٍ متأخّر عقب الاحتلال الايطالي لليبيا سنة 1911 م ، أو قبل ذلك بقليل في أواخر العهد العثماني الثاني (44) .

**2 ـــــ تراث غير مادّي :**

وهذا قوامه ما قدّمه السّابقون من علماء وكتّاب ومفكّرين وسياسيين كانوا شهوداً على عصورهم ، وأوضح الأمثلة على ذلك التراث الاسلامي في الجانب الروحي والفكري ، وقد كان رسولنا الكريم ، ثم صحابته الكرام في مقدمة هذا الأثر الجليل .

ومن أمثلة هذا النوع من التراث أيضاً : الأمثال والتّقاليد ومنظومة القيم الاجتماعية التي شكّلت بناءً خلقيّاً متماسكاً طويل الدّوام والتأثير على الأفراد ومثاله :

اللهجات والأزجال والحكايات التي وضعت لأغراض اجتماعية محدّدة مثل محاربة الطمع والبخل ، ويضاف إلى ذلك العادات التي ترسّخت عند العربي البدوي على وجه الخصوص مثل :

إغاثة الملهوف ، ومساعدة المحتاجين والفروسيّة وإكرام الضّيف ، ويضاف إلى هذا المجال الأمور السّياسيّة التي تبدأ من ( شيخ القبيلة ) وتنتهي بحاكم البلد حيث تخلّد مسيرة الأبطال والأفراد والكرام ، وتبقى مُثُلاً عليا تتجدد باستمرار، وهذا من صميم التراث الاجتماعي بشكل خاص ، وفي كل ذلك كانت اللغة العربية قد نقلته من جيل إلى جيل .

أما التراث عند الشعراء والنّقّاد فقد كانت له نظرة خاصّة ، وقد اختلفت آراؤهم ، فالحركة الأدبية الحديثة هي امتداد للتراث وولادة جديدة له ، فلا حاضر دون ماضٍ ، ولا مستقبل دون حاضر ، وذلك لأن ظاهرة التقدم : " حركة تطورية تنبع داخل الأدب العربي لا من خارجه ، وهي حقيقة تفرضها اللغة العربية وثقافتها ... (45) ،وهذا يؤكد على العلاقة بين الأصول والفروع معاً ، بحيث لا يهمل القديم بل يأخذ أفضل مما فيه ؛ ليبدع بشكل أفضل .

وإذا كان الأدب العربي في عمومه وخاصة الشعر العربي ناتج عن اللغة العربية ؛ فإن الشعر يمثل الإنسان (الشاعر)بطبعه كائن اجتماعي لا يستطيع الانعزال عما حوله من كائنات حيّة وجامدة ، ولا بدّ من أن يتفاعل معها باستمرار بخياله وشعره ، مما يخلق لديه جملة من العلاقات المتنوعة التي يحاول التنسيق فيما بينها، واللغة العربية تضفي على الشاعر رهافة الحس وكثافة في الشعور ؛ ليكون متفاعلاً مع مجتمعه لا يشعر بالغربة تجاهه ، ولا ينسلخ أبداً عن مجتمعه ، فهو من المجتمع ومع المجتمع فكراً ووجداناً وخيالاً وأحاسيس متوقّدة .

إن العلاقات الاجتماعية التي تكون اللغة العربية أساساً في بنائها ؛ إنّما هي أساس من أسس الإبداع الفني، وإنّ خصوصيّة العلاقة بين الأدب والمجتمع هي أكثر غنىً من الفنون الأخرى، فالشاعر على سبيل المثال: إنما يقوم فنّه على أساس اللغة التي هي من أبرز الظواهر الاجتماعية (46) وهي تنطوي على كثير من أعراف الجماعة اللغوية وتقاليدها المتوارثة ، فهو بالتالي أسير الظواهر الاجتماعية ، وواقع تحت تأثيرها لا محالة .

من هنا يمكن القول بأن للشاعر العربي جذوراً اجتماعية ترتبط به وتوجه مساره ، من خلال استعماله للغة العربية التي أسهمت في شاعريته ، وشاركت في تنشئته ، وبالتالي خلقت لديه جملة من التفاعلات يستطيع من خلالها أن يضمّ بين جناحيه حركة الحياة ، كما يستطيع أن يثير في المتلقي انطباعاً نفسيّاً بحركة الحياة النابضة بعلاقات المجتمع البشري المتأثر مباشرة باللغة العربية، وهذه دعوة للشاعر عند تعامله مع الموروث ، بأن يكون واعياً قادراً على الربط بين الحاضر والماضي ،وله أن يستعين بإمكانات اللغة الواسعة في التعديل والتطوير (47).

من كل ما تقدم نلاحظ أن اللغة العربية وفروع علومها لها أهمية بالغة ، فبواسطتها انتقل هذا الكم الهائل من التراث الثقافي من جيلٍ إلى جيل عبر عصورٍ متلاحقة ، وهذا يؤكد أهمية تعلّمها وتعليمها والعناية بها وبآدابها ؛ لما ينعكس على الناطق بها من فصاحة اللسان ، وحسن تركيب الكلام ، ولتحقيق ذلك لابد من وجود ناطقٍ بالعربية ، ليس نطقاً فحسب ، بل وإعراباً ، فهي زينة لسان المرء وقوته التي يتقوّى بها في إظهار حجّته وأفكاره والإفصاح عم مراده .

**الخاتمة:**

الحمد لله لذي بنعمته تتم الصالحات، لقد جاء هذا البحث مبيّناً أهمية اللغة لعربية وعلاقتها بالمجتمع وبالموروث الثقافي، وقد توصّل لباحث إلى نتائج منها :

• لا شك أن اللغة العربية قد تميّزت بسمات فريدة، وخصائص عديدة أهّلتها ومنحتها قوة البقاء ومكنتها من مقاومة أسباب التغير والتبدل والفناء، فهي تمتاز بنظام صوتي ثابت ومعتدل، ظل كما هو على مر الزمان، الأمر الذي أعطى العربية إمكانية الاستمرارية، وكفل لها فرصة نادرة لتواصل الأجيال المتعاقبة.
• اللغة العربية قادرة على استيعاب الثقافات الأخرى حتى غدت في أواخر القرن الثاني عشر للميلاد لغة العلم والحضارة، وأصبحت لغة العلم عربية لمدة تزيد على ثمانية قرون من عمر الزمان كانت الأمة قوية فقويت معها لغتها ، فكانت عاملاً رئيسياً في بناء مجتمع يرتقي بلغته إلى مستوى الرقي والتقدم .

• اللغة العربية تؤدي دورها في المجتمع بمستوياته المختلفة ابتداءً من البيت والمدرسة، وعند أصحاب المهن وفي المؤسسات العامة والخاصة، وكذلك في لغة الصحافة والإذاعة والتلفاز والمسرح، وانتهاءً بلغة العلماء والأدباء والشعراء.

• المضامين الفكرية والدينية والتاريخية السابقة هي المُثل التي ينبغي للمبدع أن يحذو حذوها ؛ ويستنبط منها ، ويستمد من لغته العربية ما يساعده على مواكبة عوامل التقدم ، ليس في الشعر فحسب ، بل في مختلف الأنواع الادبية ، ومن ثم في الحضارة الحديثة.

• لا تزال للغة العربية العنصر الرئيس في إعطاء الصفة الاجتماعية للمتحدّثين بها لا سيّما العرب ، فهي عندهم حميميّة وتضامنية واجتماعية ؛ لأنها فعل حياة فهي تحيي تراث السابق واللاحق ، وغيابها يؤثّر تأثيراً كبيراً في واقع أبنائها .

• اللغة العربية كان لها دور، بارز فقد استقطبت شعوباً كثيرة ، وتمثّل استقطابها في ذلك الامتزاج الكبير للثقافات في أوج ازدهار الحضارة العربية والاسلامية في الأعصر العباسية، وقد تمكنت العربية من أن تكون اللغة الأساس في ذلك الزمن ، بها كتب الكتّاب ، وإليها لجأ العلماء ، وإليهم ترجم المترجمون .

• التراث شاهد على الحضارات السابقة ورائحة الأجداد، وبه تُقاس حضارة أي أمة ، والحديث عن التراث ، ليس حديثاً عن تركة جامدة أو قوالب محنّطة، أو نماذج عفا عليها الزمن ، وإنما يتم التعامل معه على أنه القوة الحيّة التي تتجدد من خلالها القدرة على التعبير وبناء المستقبل .

• الموروث ظاهرة إبداعية تدعو للعودة إلى المناهج الفكرية والفنّية التي سار على نهجها الأوائل، وقد استطاعت اللغة العربية أن تستوعب تراث الأمم القديمة من فرس وإغريق وغيرهم، وأن تقدّمه للبشرية سائغاً شرابه ، فأثرت الفكر الإنساني والحضارة الإنسانية في مجالات العلوم المختلفة .

**التوصيات:**

يوصي الباحث بما يلي :

• حماية اللغة العربية من هجمات العولمة هو واجب ديني يقع على عاتق كل عربي مسلم يغار على لغته ويكون بمثابة السّياج المتين لحمايتها ، وهذا يستدعي بالضرورة توعية المجتمع العربي وبخاصّة النشء الجديد ، وتنبيهه وتحذيره من خطورة الغزو الثقافي الخارجي وجوانبه السلبية على الفرد والأسرة ، وعلى عموم المجتمع العربي .
• هذا الموضوع جدير بالاهتمام ، وبأن يحظى بدراسات تسهم في إثراء الجانب الأدبي الذي تحتاج إليه مؤسسات التعليم على اختلاف مراحله.
• الاهتمام بالبحث العلمي الذي يتناول اللغة العربية في مجالاتها الرئيسية ومظانها المختلفة وفروعها المتباينة، ومقارنتها ومقابلتها باللغات الأخرى حتى تظهر مكانتها السامية بين اللغات ، وتأخذ حقها من الاحترام والاهتمام.
• جعل اللغة العربية لغةً للتعليم والبحث العلمي في الجامعات ، ولغة للمعاملات الرسمية في مؤسسات الدولة .
اهتمام وسائل الإعلام بتقديم الرسالة الإعلامية بلغة عربية فصيحة صحيحه، وهذا يتطلب تدريب الإعلاميين تدريباً لغويًا عالياً
• العمل على وضع مناهج لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. فهناك مليار مسلم أو أكثر ينتشرون في قارّت العالم يتطلع كل منهم لتعلم اللغة العربية.
• ضرورة تعزيز التواصل بين المجامع اللغوية وكليّات اللغة العربية الموجودة في البلاد العربية حتى تتكامل جهودها في خدمة هذه اللغة، ولا شك أن تضامنهم وتعاونهم سوف يكون رصيداً لهذه الأمة.

وفي الختام يبقى الأمل معقودًا بأن تعقب هذه الدراسة دراسات أخرى أكثر عمقا وتمحيصا فتكون نوراً ونبراساً تستضئ به العقول الباحثة عن جوهر الحقيقة المطلقة ، وبشارة تلوح في أفق فجر جديد، يكون فيه للعربية سيادتها وريادتها.

**المصادر والمراجع:**


(1) سورة الزخرف : الآية 3 .
(2) سورة الحجر : الآية 9 .
(3) سورة النحل : الآية 103 .
(4) سورة إبراهيم : الآية 4 .
(5) سورة إبراهيم : الآية 4 .
(6) الأصفهاني الراغب : المفردات في غريب القرآن : ، تح ، صفوان عدنان الداوي ، دار القلم ، الدار الشامية ، ط 1 ، بيروت ، ص 47 .
(7) الخصائص : اب جنّي : تح ، محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،ج 1 ، ص 33 .
(8) ينظر : عكاشة محمود ، علم اللغة ، مدخل نظري في اللغة العربية ، دار النشر للجامعات ، ط 1 ، القاهرة ،ص 65 – 75 .
(9) مطلوب أحمد : معجم مصطلحات النقد القديم ، مكتبة لبنان ، ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ص 337 .
(10) ينظر : التونجي محمد : المعجم المفصل في الأدب ، دار الكتب العلمية ،ط 2 ، 1419 ه ، 1999 م ، بيروت ، لبنان ، ص 687 .
(11) ابن تيمية :اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم ، تح ، ناصر عبد الكريم الفضل ، مطبعة الرشيد ، ط 1 ، ، 1404 هـ ، ، الرياض ، ص 204 .
(12) الرافعي صادق مصطفى : وحي القلم ، دار لكتب لعلمية ، ط 1 ، 1428هـ ، 2000 م ، ج 3 ، ص 27 .
(13) الصفدي خليل صلا الدين : الوافي بالوفيات ، تح ، أحمد الأرناؤوط ، تركي مصطفى ، دار إخيء التراث ، 1420 هـ ، 2000 م ، بيروت ، ج 2 ، ص 121 .
(14) الذهبي شمس الدين : سير أعلام النبلاء ، تح ، شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط 3 ، 1405هـ ، 1985م ، ج 10 ، بيروت ، ص 49 .
(15) السيوطي عبد الرحمن : المزهر في علوم اللغة ، تح ، فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1418 هـ ، 1998 م ، بيروت ، ص 272 .
(16) سورة الإسراء : الآية 70 .
(17) الجاحظ : البيان والتبيين ، تح ، فوزي عطوي ، دار صعب ، ط 1 ، 1968 م ، بيروت ، ص 21 .
(18) مصطفى إبراهيم ، الزيات أحمد ، عبد القادر حامد ، النجار محمد : المعجم الوسيط ، تح ، مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، القاهرة ، ص 318 .
(19) البخاري محمد سماعيل : صحيح البخاري ، تح ، مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ط 3 ، 1407 هـ ، 1987 م ، اليمامة ــ بيروت ، ج 5 ، ص 2176 .
(20) العسقلاني بن جر فتح الباري ، تح ، عبد العزيز بن باز ، ومحي الدين الخطيب ، دار الفكر ، بيروت ، 10 / 238 .
(21) ينظر : شاهين عبد الصبور : العربية لغة العلوم ، عبد الصبور شاهين ، دار النصر للطباعة والعلوم الإسلامية ، ط 2 ، مصر ، ص 95 .
(22) النيسابوري أبو الحسن : أسباب نزول القرآن : تح ، عصام عبد المحسن الحميدان ، دار الإصلاح ، ط 2 ، 1412 هـ ، 1992 م ، الدمام ، ص 447 .
(23) القيرواني الحصري أبو اسحاق : زهر الآداب وثمر الألباب ، تح ، يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1417هـ ، 1997 م ، بيروت ، ص 40 .
(24) ابن عبد ربه : العقد الفريد دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1404 هـ ، بيروت 2/ 309 .
(25) الوطواط بن يحي أبو اسحاق : غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة : ضبط وتصحيح ، إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1429 هـ ، 2008 م ، بيروت ص 98 .
(26) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، دار الكتب العلمية ، 1418 هـ ، بيروت ، ج 2 ، ص 175 .
** دِعْبِـــل الخُزَاعـــــــي:(148 - 246 هـ = 765 - 860 م)
دعبل بن علي بن رزين الخزاعي، أبو علي: شاعر هجاء. أصله من الكوفة. أقام ببغداد. له أخبار، وشعره جيد. وكان صديق البحتريّ. وصنف كتابا في (طبقات الشعراء) .
قال ابن خلكان في ترجمته: كان بذئ اللسان مولعا بالهجو والحطّ من أقدار الناس، وهجا الخلفاء - الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق - فمن دونهم، وطال عمره فكان يقول: لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من

يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك! توفي ببلدة تدعى الطيب (بين واسط وخوزستان) وكان طوالا ضخما أطروشا، له (ديوان شعر - ط) جمع فيه بعض الأدباء ما بقي متفرقاً من شعره : الأعلام للزركلي (2/ 339)

(27) الأنباري أبوبكر : الزاهر في معاني كلمات الناس ، تح ، حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، 1412 هـ ، 1992 م ، بيروت ، ج 2 ، ص 239 .

(28) ديوان الإمام الشافعي : اعتنى به ، عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، ط3 ، 1426هـ ، 2005م ، بيروت ، ص 114 . (29) الأنصاري ابن منظور : محمد بن مكرم ت 711 هـ : لسان العرب ، دار صادر ، ط 3 ، 1414 هـ ، بيروت ، ج 2 ، ص 200 ( مادة ورث ) .

(30) سورة النمل : الآية 16 .

(31) النّسفي أبو البركات : عبد الله بن أحمد ، ت 710هـ ، تح ، يوسف علي بدوي ، راجعه ، محي الدين ديب ، دار الكلم الطيب ، بيروت ، ط 1 ، 1419 هـ ، 1998م ، ج 2 ،

(32) سورة المؤمنون : الآية 10 ، 11 .

(33) البصري أبو عروة : معمر بن أبي عمر راشد الأزدي ، ت 153 هـ ، مصنف الجامع ، تح ، حبيب عبد الرحمن الأعظمي ، ص 595 ، ( باب الدعاء ) .

(34) ينظر : يقطين سعيد : السّرد مفاهيم وتجلّيات ، دار الأمان ، الرباط ، المغرب ، ط 1 ، 2012م ، ص 18 .

(35) وهبة مجدي ، والمهندس كامل : معجم لمصطلحات الأدبية في اللغة والأدب مكتبة لبنان ، ط 2 1984 م ، ص 93 .

(36) السرد مفاهيم وتجلّيات ، مرجع سابق ، ص 32 .

(37) البياتي عبد الوهاب : الشاعر العربي والتراث ، مجلّة فصول ، مج 1 ، عدد ، يناير 1981م ، ص 19 .

(38) الدينوري ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، تح ، أحمد محمد شاكر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ط 3 ، 1977م ، ص 69 .

(39) ينظر : عروسي سهيل : دراسة في إشكالية الثنائيات في الثقافة العربية ( عبد الرحمن الكواكبي نموذجاً ) منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق 200 ص 39 –40 .

(40) ينظر : المجتمع العربي المعاصر : مركز دراسات الوحدة العربية ، القاهرة ، د ت ، ص 404 .

** قاسِـــــــــــــم أَمِيـــــــــــــــــــن: (1279 - 1326 هـ = 1863 - 1908 م)

قاسم بن محمد أمين المصري: كاتب باحث، اشتهر بمناصرته للمرأة ودفاعه عن حريتها.

كردي الأصل. ولد ببلدة " طره " بمصر. وانتقل مع أبيه " الضابط أمير ألاي محمد بك أمين " إلى الإسكندرية، فنشأ وتعلم بها، ثم بالقاهرة. وأكمل دراسة الحقوق في " مونبلييه " بفرنسا. وعاد إلى مصر سنة 1885 فكان وكيلا للنائب العمومي بالمحكمة المختلطة. فمستشارا بمحكمة الاستئناف، وتوفي بالقاهرة. له " تحرير المرأة - ط " و " المرأة الجديدة - ط " وكان لصدورهما دويّ. ونشر له كتاب ثالث سمي " كلمات قاسم بك أمين ". الأعلام للزركلي: دار العلم للملايين ، ط 15 ، 2002م ، ج5 ص 184.

(41) المصراتي مصطفى علي : ملامح وجوانب من الثقافة الشّعبية ، مجلة تراث الشّعب ( ليبية ) عدد 67 ، السنة الخامسة والثلاثون ، يناير 2015 م ، ص 147 .

(42) ينظر : فهيم محمد حسين , أدب الرحلة , عالم المعرفة (سلسلة كتب بقافية شعرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب) الكويت , يناير 1978 م : ص 75

(43) الميداني : أبو الفضل أحمد بن محمد ، مجمع الأمثال ، تح ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، 1997 م، ج 3 ، ص 28 .

(44) ينظر : مدونة المسرح الليبي ، عبد الله مليطان ، دار مداد ، طرابلس ، ليبيا ، ط 1 ، 2008 م ، ص 11 .

(45) الخال يوسف : الحداثة في الشعر : دار الطليعة ، بيروت ، ط 1 ، 1978 م ، ص 93 .

(46) ينظر : إسماعيل عز الدين : الأسس الجمالية في النقد العربي ، دار الفكر العربي ، مصر ، ط 1 ، 1955 م ، ص 304

(47) واقع القصيدة العربية ، محمد فتوح أحمد ، دار المعارف ، القاهرة ، د ط ، 1984 م ، ص 147